

حرب الهند الثقافية تصل بوليوود

2017-12-21 بروجيكت سنديكيت

SHASHI THAROOR

نيودلهي- لقد اصبحت الثقافة والتاريخ ساحة معركة جديدة في الهند وبينما لم ينتهي الجدل بعد حول وضع تاج محل كرمز للتعدد الثقافي في الهند فإن هناك جدل اخر يمزق البلاد بالفعل وهذه المرة فإنه يتعلق بأحد الأفلام.

إن الفيلم "بادمافاتي" يحكي قصة ملكة راجبوت والتي تحمل الاسم نفسه ويعتقد انها ماتت مع 16000 امرأة اخرى من طبقة محاربي راجبوت وذلك بإشعال النار في انفسهن سنة 1301 من اجل تجنب ان يتم اسرهن من قبل سلطان دلهي الغازي علاءالدين خيلجي وعلى الرغم ان الفيلم لم يتم عرضه بعد فلقد ظهرت بالفعل اخبار كثيرة عنه على الصفحات الاولى للصحف بالإضافة الى النقاشات في نشرات الاخبار المسائية كما ظهرت تهديدات هستيرية بالعنف بالإضافة الى منعه في اربع ولايات تقع تحت سيطرة حزب بهارتيا جانتا الحاكم.

إن هناك شكوك حول الدقة التاريخية لقصة بادمافاتي فلا توجد أي اشارة للملكة في أي من الوقائع التاريخية المعاصرة لهجوم خيلجي على شيتورجار بما في ذلك من المؤرخين الذين رافقوا قواته ولكن بادمافاتي كانت شخصية اسطورية منذ سنة 1540 عندما قام الشاعر الصوفي مالك محمد جاياسي بتكريس ملحمة الشعرية "بادمافات" لقصتها.

لقد قيل ان جاياسي لم يكن ينوي ان يتم النظر الى حكايته بشكل حرفي وان هذا العمل يمثل التقليد الفارسي الشعري الصوفي والذي يستخدم الرومانسية ليعكس بحث الانسان عن الخالق وطبقا لهذا التفسير فإن القصيدة هي رمز لتوحد العقل والروح في مواجهة القوى الخارجية ولقد

اختار جاياسي هجوم خيلجي على شيتورجار كمسرح لملحمته لأن اسمها تضمن كلمة شيت (الضمير).

لكن الأدب عندما ينشر يكتسب حياة خاصة به فحكاية جاياسي قد تم اعادة سردها لمرات لا تحصى ولا تعد من قبل الشعراء الغنائيين البنغوليين ومن رواة الحكايات الشعبية وحتى من قبل العقيد الانجليزي تود والذي قام بوضع حكاية بادمافاتي في مجموعته سجلات واثار راجبوتانا ومن خلال اعادة سرد هذه الحكاية فإن قيامها بحرق نفسها "جوهار" أصبح عمل نبيل من اعمال المقاومة ضد المسلمين الشهبانين مما جعلها مثال للانوثة الهندوسية التي لا تشوبها شائبة.

مع مرور الوقت اصبحت بادمافاتي في مرتبة الالهة فموقع انتحارها المفترض اصبح مكان للجذب السياحي كما ادعى رئيس منظمة راجبوت ذا كارني سينا انه ينتمي لذريتها وعندما تمت مواجهته بوجهة النظر القائلة انها كانت شخصية خيالية، رد قائلا: "انا رقمي 37 في تسلسل ذريتها المباشر فهل انا شبح؟".

مع هذه الأهمية الكبيرة لصورة بادمافاتي كرمز للشرف والنقاء الانثوي قرر منتج افلام بوليوود سانجاي ليلا بانسالي عمل فيلم عن قصتها مما تسبب من غير قصد في جعل الفيلم هدفا للمشاعر التاريخية حيث قامت منظمة ذا كارني سينا بتحطيم مكان تصوير الفيلم في قلعة جايجار في جايبور كما قامت بتعطيل التصوير في موقع اخر جديد وان كان اقل اصالة في كوهلابور متهمه بانسالي بتصوير مشهد غرامي بين الملكة الهندوسية والغازي المسلم كما هناك اقاويل بان المجتمع المحلي في راجبوت قد قام بتعطيل عرض الفيلم على اساس انه يشوه التاريخ على الرغم من انكار بانسالي لذلك.

إن منتقدي الفيلم بما في ذلك اربعة رؤساء وزراء في اربعة ولايات هندية تحت سيطرة حزب بهارتيا جاننا الحاكم والذي قاموا استباقيا بمنع عرض الفيلم قد قاموا بادانة الفيلم قبل حتى ان يشاهدوه وهذا يعكس النهج الدفاعي الزائد عن الحد لبعض الهندوس في الهند وذلك من اجل الدفاع عن نظرتهم للتاريخ الذي يؤمنون به وحتى عندما يكون التاريخ مثل ما هو الحال في قصة بادمافاتي ليس اكثر من خيال جماعي ملفق.

لا يوجد شخص اكثر علمانية من اول رئيس وزراء للهند جواهرلال نهرو والذي لخص الظاهرة قبل سبعة عقود عندما قال: "إن الحقائق والخيال متشابكة معا لدرجة انه لا يمكن الفصل بينهما وهذا الخليط يصبح تاريخ يعكس تصورات الناس والتي ربما لا تعطينا فكرة عن ما الذي حدث بالفعل ولكنها تخبرنا شيء آخر مهم وهو ما الذي كان الناس يعتقدون انه حصل وماذا كان تصورهم لقدرات اسلافهم الابطال وما هي الافكار المثالية التي همتمهم. إن هذا التاريخ الذي يعكس تصورات الناس - خليط من الحقيقة والخيال وفي بعض الاحيان خيال فقط- يصبح حقيقيا من الناحية الرمزية".

إن هذا الطرح يفسر باختصار المعارضة التي واجهها فيلم بادمافاي فبالنسبة لبعض الهندوس فإن الفرق بين الحقيقة التاريخية والخرافة الثقافية لا يهم فالذي يتم تذكره والاعتقاد به هو بنفس اهمية الحقائق وفي المناخ السائد اليوم والذي يباليغ في التركيز على مفهوم "التعرض للإهانة وجرح مشاعر مجتمع ما فإن هذه النظرة ذات صلة فافتخار الهندوس القديم بالتعايش وقبول الاختلاف وهي الدعائم التي عكست التنوع الرائع في الهند قد اصبح تحت التهديد اليوم.

لكن هناك سابقه تاريخية لرده الفعل تلك فبانسالي كان يجب أن يتعلم من ردة الفعل العنيفة على فيلم آخر قبل عقد من الزمان ففي تلك الفترة اعترض مصنفو الشعر على فيلم "بيلو باربر" حيث جادلوا (على نحو سخيف) بأن كلمة باربر "حلاق" هي اهانة لمهنتهم وهددوا بالاحتجاج على الفيلم في كل مكان يتم عرضه فيه وهي تهديدات اجبرت نجم ومنتج بوليوود على اسقاط الكلمة الثانية واعادة تسميته ليصبح اسم الفيلم بيلو فقط.

ربما من غير المهم ان نهتم كثيرا بأراء العناصر المتخلفة بفيلم بوليوودي ولكن مثل تلك الردود تعكس نفس ضيق الافق الذي قاد الى الحادثة المشهورة المتعلقة بسحب كتب الباحثة السانسكريتية ويندي دونيجير المهمة عن الهندوسية وبينما سيكون من المبالغ به القول بأن حرية التعبير في الهند في خطر فإن جو التخويف والترهيب من قبل الغوغاء الغاضبين والذي عادة ما تستسلم الحكومات طواعية لهم اصبح واضحا ومن خلال السماح لهؤلاء المتنمرين غير المتسامحين بأن يقوموا بالتخويف والترهيب بشكل غير قانوني نكون بذلك قد سمحنا لهم بالإضرار بشيء حيوي لبقاء الهند كحضارة.

إن على الهند التعددية والديمقراطية ان تتعايش مع التعبيرات المتنوعة للهويات المختلفة علما ان السماح للبعض والذين نصبوا انفسهم كأشخاص قادرين على الحكم على التراث الهندي لفرض نفاقهم وازدواجية المعايير لديهم على الناس الاخرين يعني السماح لهم بتعريف الهوية الهندية بطريقه لا تعد فيها هذه الهوية هندية بالأساس.

* شاشي ثارور، وزير الدولة لتنمية الموارد البشرية في الهند، كتابه الأخير هو باكس إنديكا: الهند والعالم في القرن 21.

<https://www.project-syndicate.org>

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبأ المعلوماتية